الذخائر الأشرفية في الألغاز الفقهية

تأليف

القاضي عبد البر بن الشحنة

المتوفى سنة ٩٢١ هـ

تحقيق

محمد عدنان درويش

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
٢٠٠٠/ ٥ / ١٩٩٤

التنضيد : دار الدبّاس للتنضيد الفني

تنفيذ : دار المجد للطباعة والنشر والتوزيع والخدمات الطباعية
دمشق - ص.ب ١١٠٣٣ - هاتف ٢٢٤٥٨٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين المبعوث رحمة للعالمين .

وبعد :

فقد طلب مني أخي الشيخ عدنان درويش - وفقه الله - خرّيج معهد الفتح الإسلامي بدمشق أن أسطر له كلمات بين يدي تقديم كتاب (الذخائر الأشرفية في ألغاز الحنفية) للفقيه عبد البر بن محمد سليل العلم والعلماء ، وذلك بعد أن بذل في إخراجه جهداً ميموناً مباركاً - إن شاء الله - أعدُّه خطوة من خطوات السير الحثيث في خدمة العلم ونتاج العلماء ، راجياً الله تعالى أن يسدد خطاه في هذا الطريق الشريف ، الذي ينبغي على شبابنا - ممن أكرمهم الله تعالى بالعلم والمعرفة وجمّلهم بالتقوى والصلاح - أن يجدوا السير في الاهتمام بما خلّفه علماؤها الأفذاذ ، لينقلوا ذخائر مكتبتنا الإسلامية من غياهب المكنونات إلى صحائف المنشورات ، ليعمَّ الخير ، ولينتفع بتلك الذخائر القاصي والداني .

ولقد نظرت في مسائل كثيرة من أبواب هذا الكتاب الذي رتبه مؤلفه حسب أبواب الفقه ، فوجدت في كثير منها طرائف جميلة تشدُّ القارئ إلى الاعتناء بها ، وتجعل أحكامها الفقهية متميزة في ذهنه ، ويحمله هذا الأسلوب المشوّق على متابعة تلك المسائل التي احتذى المؤلف في عرضها أسلوب الإلغاز الذي عُرف عند كثير من العلماء في مختلف الفنون :

كالقراءات والنحو والبلاغة والحساب .

ولم يكن عبد البر بن محمد نسيج وحده في هذا الباب ، بل اقتفى أثر من قبله ومهَّد لمن بعده ، وكان له – بحق – الباغ الطويل في جعل كتاب من هذا القبيل في الفقه بالذات .

فرحم الله عبد البر وجميع من سبقه من العلماء العاملين رحمة واسعة . وبارك الله بعلمائنا المعاصرين ووفقهم لنصرة الحق وأهله . وجعل الخير الكثير في الناشئة من طلاب العلم الذين يسيرون على الدرب القويم ، درب أشياخهم ممن استقاموا على الطريقة ، ولم يرضوا هدياً غير هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

والله أسأل لي ولأخي المحقق ولجميع العاملين في هذا المضمار الإخلاص والفلاح مع التوفيق والنجاح .

دمشق في ١٦/ ذو القعدة/ ١٤١٤ هـ

٢٦/ نيسان/ ١٩٩٤ م.

عبد الفتاح البزم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي كشف بالعلماء كل ضلال مبين ، وأوضح بهم كل مشكل ، وأوضح بأفهامهم كل صعب وملغز ، ورفع علَم العلم بقوله ﴿ وعلم آدم الأسماء ﴾ البقرة/ ٣٢/ وصلى الله على سيد الأولين والآخرين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فقد تنوعت الطرق والأساليب التي عرضت بها مسائل الفقه الإسلامي ، وابتكرت قرائح رجال هذا العلم الشرعي طرقا مختلفة لبحثه . وكان من هذه الأساليب التي استعملها الفقهاء أسلوب الألغاز الذي يتناوله كتابنا هذا .

وهذا النوع يقوي العقل عند التمرن فلذا نجد أن الفقهاء يسمونه «ألغازاً» ، وأهل الفرائض يسمونه « معاياة» ، والنحاة « معمى » واللغويون «الأحاجي »[1] وهو وسيلة لشحذ الأذهان وطريقة للترفيه عنها ، ولتكون العقول مقبلة الى العلوم مع درء السآمة والملل اللذين يتعبان النفس . ولعل مستند هم ودليلهم وكانت نقطة الانطلاق في استعمال الألغاز تتكون في بادرة سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم في استعمال هذه الطريقة ؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه برقم (٦١) ومسلم أيضا برقم (٢٨١١) عن ابن عمر رضي الله عنه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مثل المسلم ، فحدثوني ماهي ؟»فوقع الناس في شجر البوادي . قال عبد الله وقع في نفسي أنها النخلة ، فاستحييت ، ثم قالوا : حدثنا ماهي يارسول الله ؟ قال : هي النخلة » فذكرت ذلك لعمر ، فقال : لأن تكون قلت هي النخلة أحب إلي من كذا وكذا ، ففيه دليل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يقصد الإلغاز في كلامه في بعض الأحيان لأن النخلة لا تسمى شجراً وتسمية النبيّ صلى الله عليه وسلم شجراً على سبيل الاستعارة لإرادة اللغز .

---

١ - كذا بخط الغزي . من الحموي ٢/ ٢٧٢ .

وهذا الكتاب يعتبر عمدة في هذا الباب لأنه حوى من جميع أنواع فصول أبواب الفقه .

من أجل ذلك قمت بتحقيق وإخراج هذا الكتاب ، راجياً من المولى جل جلاله أن يكون بحله قشيبة ، تجعلة واضح المعالم في إبراز عباراته ومسائله وتبويباته .

أسأل الله أن يلهم كل من انتفع به أن يدعو لهذا العبد دعوة بظهر الغيب يكون فيها صلاح دنياه وآخرته .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

٣/ رجب / ١٤١٤

محمد عدنان درويش

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه ونشأته

هو العلامة المفسر الفقيه الناظم المدقق عبد البر بن محمد بن محمد بن محمد بن محمود قاضي القضاة سري الدين أبوالبركات ابن قاضي القضاة أبي الفضل محب الدين محمد بن أبي الوليد محب الدين قاضي القضاة الحلبي ثم القاهري الحنفي المشهور بابن الشحنة سبط قاضي القضاة ولي الدين محمد السفطي قاضي الشافعية بالديار المصرية في الدولة الجركسية . ولد بحلب سنة احدى وخمسين وثمانمائة / ٨٥١/ ليلة الثلاثاء التاسع من ذي القعدة . ثم انتقل بصحبة أبويه إلى القاهرة فحفظ القرآن وكتبا في مختصرات العلوم .

أخلاقه ومكانته

نقل ابن العماد في الشذرات ٨/ ٩٩ عن الحمصي أنه قال فيه : « كان عالما متقنا للعلوم الشرعية والعقلية » .

وقال العلامة راغب الطباخ في إعلام النبلاء ٥/ ٣٥٩ « . . . وكان بليغا منطقياً مهيبا شهما سخيا متوسعا في لذات الدنيا لا يمسك في يده الدرهم الفرد ولا مافوقه ، ومن شأنه الافتخاروعد المناقب الكبار كما قال في صدر قصيدة .

أضاء وها مناقبي الكبار ... وبي والله للدنيا الفخار

علاً في سؤدد وعلوم شرع ... لها في سائر الدنيا انتشار

وهمة لوذع شهم تسامى ... مفاخرهم بها الركبان ساروا

وهمة لوذع شهم تسامى ... بفرق الفرقدين لها قرار

وفكر صائب في كل فن ... إلى تحقيقه أبدا يصار

إلى أن قال :

سموت لمنصب الإفتاء طفلا وكان له إلى قربي ابتداء

وكم قررت في الكشاف درسا عظيما قبل مادار الغدار

ومع ذلك لم يسلم من هجو عبيد السلموني شاعر القاهرة هجاه بقصيدة قال في أولها :

فشا الزور في مصر وفي جنباتها ولِمَ لا وعبد البر قاضي قضاتها

وعقد على السلموني بسبب ذلك مجلس في مستهل محرم سنة ٩١٣ بحضرة السلطان الغوري واحضر في الحديد فأنكر ، ثم عزر بسبب ذلك بعد أن قرئت القصيدة بحضرة السلطان وأكابر الناس وهي في غاية الشناعة والبشاعة .

والسلموني هذا : كان هجَّاءً خبيث الهجو ما سلم منه أحد من أكابر مصر فلا يعد هجوه جرحاً في مثل القاضي عبد البر وقد كان له في ذلك العصر حشمة كما ذكر ذلك ابن العماد في الشذرات ١/ ٩٩ .

شيوخه :

أخذ القاضي ابن الشحنة رحمه الله العلم عن عدد كبير من الشيوخ منهم من كان في بلاده ومنهم من رحل إليهم فمنهم :

١ - والده قاضي القضاة أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن الشهاب غازي بن أيوب بن حسام الدين ابن الشحنة محب الدين المولود في رجب ٨٠٤ ذكره في البدر الطالع ٢/ ٢٦٣ .

٢ - جده قاضي القضاة أبو الوليد محمد بن محمد المعروف بابن الشحنة الكبير المولود سنة ٧٤٩ بحلب ذكره في البدر الطالع ٢/ ٢٦٤ .

٣ - خطيب بيت المقدس وشيخ صلاحيته الجمال بن جماعة أخذ عنه حال إقامته مع والده .

٤ - والتقي أبي بكر القلقشندي

٥ - وسمع بالقاهرة من البدر النسابة

٦ - وزين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي المولود في محرم سنة ٨٠٢ بالقاهرة وتوفي سنة ٨٧٩ تسع وسبعين وثمانمائة في ليلة الخميس رابع ربيع الآخر أخذ عنه الفقه وأصوله والحديث

٧ - والبدر بن عبيد الله أخذ عنه الفقه وأصوله .

٨ - هاجر القدسية وغيرهم كما في الضوء اللامع وغيره

تلامذته

من تلامذته :

١ - القطب بن سلطان مفتي دمشق ذكره في الشذرات ٨/ ٩٩ .

مصنفاته :

للقاضي عبد الرحمن البر رحمه الله مؤلفات كثيرة نذكر منها :

١ - شرح منظومة ابن وهبان في فقه أبي حنيفة النعمان ذكرها ابن العماد في الشذرات ٨/ ٩٩ والطباخ في إعلام النبلاء ٥/ ٣٥٨ ويقوم بتحقيقه الأستاذ الشيخ عبد الجليل العطا

٢ - شرح منظومة جده محمد ابن الشحنة الكبير أبي الوليد وسماه «شرح المائة العشرين » وهي تضمن عشرة علوم .

٣ - وكتاب لطيف في حوض دون ثلاثة أذرع هل يجوز فيه الوضوء أولا ، وهل يصير مستعملا بالتوضي فيه اولا . أفاد فيه أن المفتى به في الماء المستعمل قول محمد أنه طاهر غير طهور . وأن المتقاطر من الوضوء طاهر قليل لاقى طهورا أكثر منه فلا يسلبه الطهورية وجوز فيه الاغتراف منه والتوضي خارجه لافيه ،